﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: 126]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الصِّراطُ المستقيمُ أبعدُ ما يكونُ عَنِ الضّالِّ

لَمّا ذكرَ إيقاعَ الرّجسِ عَلى الذينَ لا يؤمنونَ مِنْ أهلِ الضّلالِ، كانَ في غايةِ الحسنِ أن يعقبَهُ هنا بالصّراطِ؛ فهو مَرغوبٌ مَطلوبٌ لاستقامتِهِ وإضافَتِهِ إلى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، فإنَّ مادَّةَ الرِّجسِ تَدورُ عَلى الاضْطِرابِ؛ ولزومُه العِوَجُ، فالضَّلالُ المانعُ مِنَ الإيمانِ؛ فلمّا كانَ هذا حالَ المُضطَرِبِ الضّالِّ أَتْبَعَهُ وصْفَ طَريقِهِ بالاستقامَةِ؛ فهي أبعدُ ما تكونُ عَنِ الاضْطرابِ المُقترِنِ بِالاعْوِجاجِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَصَّلْنَا﴾: فعلٌ مَزيدٌ بِالتَّضعيفِ، جذرُهُ اللُّغويُّ (فصل)، ومعنى الفَصْلِ أنْ تُفرِّقَ بينَ شَيئينِ حتّى يتبايَنا، وأنْ تُميِّزَ شَيئًا مِنْ شَيءٍ؛ فيتبَيَّنَ أحدُهُما مِنَ الآخَرِ، فالتَّفصيلُ: التَّبيينُ والتَّوضيحُ، وتفصيلُ الآياتِ تَبيينُها وتَمييزُها الواحدةَ مِنَ الأُخرى[2]. ومعنى ﴿فَصَّلْنَا﴾ في الآيةِ، أي: بيَّنّا ومَيَّزنا الآياتِ والحُجَجَ عَلى حقيقةِ ذلكَ وصَوابِهِ[3].

2) ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: فعلٌ مضارِعٌ دالٌّ عَلى الحالِ والاستقبالِ مُسنَدٌ إلى الجَماعَةِ، والجذرُ اللُّغَويُّ مِنهُ (ذكر)؛ والذِّكرُ: الحِفظُ لِلشَّيءِ، وجَرْيُ الشَّيءِ عَلى اللِّسانِ، ولِهذا الجذرِ أصلانِ في المعنى؛ أحدُهُما مِنَ التَّذكُّرِ، وهو خِلافُ النِّسيانِ؛ فحمَلوا عَليهِ الذِّكرَ باللِّسانِ،

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/264.

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (فصل).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/113.

فَالذِّكْرُ إذَنْ تَمكينُ الإنسانِ اسْتِحضارَ الشَّيءِ مِنَ القَلبِ، وكَثيرٌ مِنْ صيَغِ (التَّذكيرِ) و(التَّذكُّرِ) تكونُ نَقيضَ النِّسيانِ، ولمعنى الوَعْظِ، وهوَ مِنهُ؛ لأنَّهُ إذا تَذكَّرَ قَدْ يَرتدِعُ عَمّا هوَ مُقبِلٌ عَليهِ[1]. ومعنى ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ في الآيةِ: لِمَنْ يتذَكَّرُ بِهذهِ الآياتِ ويَتَّعِظُ بِما فيها مِنَ العِبَرِ والعِظاتِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كـلُّ ديـنٍ سِـوى الإسلامِ فسِمَتُه الاغْـــوجـــاجُ والالْتِواءُ

وهذا الدِّينُ الَّذي شَرعناهُ لكَ - أيُّها الرَّسولُ - صِراطُ ربِّكَ؛ الإسلامُ الَّذي بَعثَكَ بهِ لإقامَةِ العُبوديَّةِ، بِكَونِهِ مُستقيمًا بِنظَرِ العُقولِ الرّاجِحَةِ، والفِطَرِ السَّليمَةِ، والَّذي يَشْرَحُ لهُ صَدْرَ مَنْ يريدُ هِدايتَهُ؛ وهوَ السَّبيلُ السَّويُّ وما عَداهُ مُعوَجٌّ مُلتَوٍ بِما فيهِ مِنْ زَيغٍ وفسادٍ[3]، قَدْ بيَّنا الآياتِ الواضِحَةَ والحُجَجَ المُثْبِتَةَ أُصولَهُ الرَّاسِخَةَ، لِقَومٍ يَتذكَّرونَ كُلَّما عَرَضَتِ الحاجةُ إلَيهِ؛ لِيزدادوا إيمانًا ورُسوخًا وإذْعانًا ومَوعِظَةً.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوَصْلِ في الآيةِ:

مُتَّبِعُ القُرآنِ لا يَجِدُ مَشَقَّةً ولا نَصَبًا

قولُهُ تَعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ الآيةُ مَوصولَةٌ بِما قبلَها بالعَطفِ عَلى قولِهِ: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، فهوَ تَمثيلٌ؛ فإنَّ حالَ المُهْتَدي بِصراطِ اللّهِ المستَقيمِ أنَّهُ لا يَنْصَبُ ولا يَتْعَبُ في اتِّباعِهِ؛ فهوَ واضِحٌ صافٍ، وهوَ ضِدُّ حالِ الضّالِّ الَّذي وصَفَهُ رَبُّ العِزَّةِ بِأنَّهُ يَصَّعَّدُ في السَّماءِ؛ والعَطْفُ فيهِ إشارَةٌ إلى أنَّها مَقصودَةٌ بِالإخبارِ[4].

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ذكر).
(2) الخازن، لباب التّأويل: 2/156.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 8/26.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ62.

نُكتَةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارَةِ:

الإسـلامُ قائمٌ حاضِرٌ يُشارُ إليه

اسْمُ الإشارةِ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ﴾؛ لِلتَّنبيهِ إلى معنًى ماثِلٍ في الذِّهْنِ والعَقلِ؛ وهوَ الدّينُ أو الإسلامُ[1] بِدَلالةِ قَولِهِ قَبلَهُ: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾.

ويَجوزُ في اسْمِ الإشارةِ أنْ يَكونَ مَعناهُ البَيانَ الَّذي نزَلَ بِهِ القُرآنُ الكَريمُ، أو فيهِ إشارَةٌ إلى ما سَبَقَ ذِكرُهُ مِنَ التّوفيقِ والخِذْلانِ[2] في هِدايَتِهِ تَعالى بَعضًا مِنْ خَلْقِهِ وإضلالِ بعضِهِمُ الآخَرِ.

التَّعبيرُ بالصِّراطِ المستقيمِ بينَ الاستعارةِ والتَّشبيهِ:

الـدِّيـنُ يُشاكِلُ الـصِّـراطَ؛ فَكِلاهُما طَريقٌ مُفْضٍ إلى المُرادِ

والصِّراطُ المستقيمُ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ هوَ الدِّينُ القَويمُ والقُرآنُ العَظيمُ[3]، واسْتِعمالُ ﴿صِرَٰطُ﴾ هوَ تشبيهٌ تمثيليٌّ؛ حَيثُ إنَّ حَقيقةَ الصِّراطِ هيَ الطَّريقُ الواسِعَةُ؛ فاستعارَهُ لِلعمَلِ الموصِلِ إليهِ تَعالى[4]، فالاثنانِ موصِلانِ إلى الغايةِ والهدفِ؛ وهو رِضا اللّهِ تعالى.

سِرُّ تَعريفِ الصِّراطِ بِالإضافةِ:

وِجْـهَـةُ الـصِّـراطِ ربُّ العالمينَ ﷻ

تَعريفُ الصِّراطِ بالإضافةِ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾؛ لِلدَّلالةِ عَلى كَونِهِ واضِحًا جَليًّا، ثُمَّ إنَّ إضافتَهُ إلى الرَّبِّ لأنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ تَعالى[5]، وفيهِ تَعظيمُ شَأنِ المُضافِ وهوَ الصِّراطُ؛ لِيُعلَمَ أنَّهُ خَيرُ صِراطٍ وأفضَلُ طَريقٍ[6].

مُناسبَةُ الحَديثِ عَنِ الهِدايَةِ معَ لَفظِ الرُّبوبيَّةِ:

مُقْتَضَى الرُّبوبيَّةِ الهِدايَةُ

ذكرَ في الآيةِ السّابقَةِ لَفظَ الهِدايةِ بقولِهِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، لكنَّهُ هُنا ذكَرَ لَفْظَ الرُّبوبيَّةِ:

(1) رضا، تفسير المنار: 8/54، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ62.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/182، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/641.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/641.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ62.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/641.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ62.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾؛ وذلكَ لِأنَّ مُقْتَضَى الرُّبوبيَّةِ الهِدايةُ[1]، وآيةُ ذلكَ كَثرةُ اقْترانِ الهِدايَةِ بِلَفظِ الرَّبِّ، كَما في أمِّ الكِتابِ بِقَولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:2] ثُمَّ قَولِهِ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:6]، وقَولِهِ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:5].

نُكتَةُ اصْطِفاءِ الرُّبوبيَّةِ دونَ غَيرِها:

ودلالَةُ اصْطفاءِ الرُّبوبيَّةِ في قَولِهِ: ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ لِما في الاسْمِ – معَ استِجماعِ الكَمالاتِ كُلِّها – مِنْ صفَةِ الرَّحمةِ، واللُّطْفِ، والإحْسانِ، والرِّفْقِ[2]، وقد جاءَتْ في سورَةِ الشّورى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشُّورى: 53]، فلمّا كانَ موضِعُ الأنعام تذكيرًا بمعاني الرُّبوبيَّةِ مِنْ خَلْقٍ ورِزقٍ وإنعامٍ وهِدايةٍ ومَلَكوتٍ ناسَبَ المجيءُ بِلَفظِ الرُّبوبيَّةِ؛ فهو الرَّبُّ الهادي المتَصَرِّفُ في قُلوبِ عِبادِهِ، و﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشّورى: 53] يعني "صِراطِ شَرعِ اللّهِ ورَحمتِهِ وجَنَّتِهِ؛ فبِهذا الوَجهِ ونَحوِهِ مِنَ التَّقديرِ أُضيفَ الصِّراطُ إلى اللّهِ تَعالى"[3]، والغَرَضُ مِنَ الإشارةِ إلى الأُلوهيَّةِ في سياقِ سورةِ الشّورى هوَ إبطالُ قَوْلِ مَنْ يَعْبُدُ غَيرَ اللّهِ[4].

الـرَّبُّ اسْـمٌ جامِعٌ للعَطْفِ والإحْسانِ والرِّفقِ ونَحوِها

تَوجيهُ الإضافةِ إلى ضَميرِ المخاطَبِ ﴿رَبِّكَ﴾:

وإضافةُ الرّبِّ إلى كافِ الخطابِ العائدِ عَلَيهِ ﷺ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ فيهِ تَشريفٌ لِلمُضافِ إلَيهِ؛ وهوَ الرّسولُ ﷺ، وتَرضيَةٌ وتَسليَةٌ لَهُ، وفيهِ بيانٌ لِسُنَّةِ اللّهِ تَعالى في أنَّ بَعضَ النّاسِ مُعْرِضونَ عَنِ الهِدايةِ، غَيرُ متَّبِعينَ لِهذا الصِّراطِ المستَقيمِ[5]،

إضافَةُ الكافِ تَشريفٌ وتَرضيةٌ لِلرّسولِ ﷺ وتَسْليةٌ لَهُ

(1) فاضل السّامرّائي، لمسات بيانية، ص: 33.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 7/263.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 7/263.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 7/263.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ62.

وشَرَفُ انتسابِ النبيِّ ﷺ إلى هذا الصِّراطِ يُبيِّنُ أنَّ الهدايةَ تحصُلُ بإرشادِهِ ﷺ، وقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى في سورةِ الشُّورى أنَّ النَّبيَّ ﷺ أوتِيَ مَفاتيحَ الهدايةِ والإرشادِ إلى هذا الصِّراطِ، فَقالَ تَعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشُّورى: 52 - 53].

بيانُ التَّعبيرِ بالحالِ المؤكِّدَةِ ﴿مُسْتَقِيمًا﴾:

صِـــراطُ اللـهِ لا يـكـونُ إلّا مُستَقيمًا

و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ مَنصوبٌ عَلى الحاليَّةِ[1]، وهذهِ الحالُ يُقالُ لَها: الحالُ المؤكِّدَةُ[2] لا المتغيِّرةُ؛ فصِراطُ اللهِ ليسَ مُتَرَدِّدًا بينَ التَّحوُّلِ والثَّباتِ، فلمْ يأتِ بها للتَّفريقِ بينَ الأمرَينِ؛ فصِراطُ اللهِ مستَقيمٌ أبدًا[3]، وهيَ لَيستْ مُتَحَوِّلَةً مِنْ حالٍ إلى حالٍ، كَقولِنا: جاءَ زيدٌ راكِبًا، فيُحتَمَلُ في حالٍ أُخرى أنْ يأتيَ ماشِيًا، أو مَحمولًا، بلِ الحاليَّةُ في السّياقِ الكَريمِ مؤكِّدَةٌ لِمَعنى إضافَتِهِ إلى اللهِ[4].

ولَمّا كانتِ الحالُ مُتَغيِّرَةً بينَ أنْ يكونَ الشَّيءُ وأنْ لا يكونَ، هذا أصلُها، وصِراطُ اللهِ لا يكونُ إلَّا مستَقيمًا، فهوَ قَصيٌّ عَنِ التَّغيُّرِ؛ فلذلكَ عبَّرَ بهِ هنا عَلى الحاليَّةِ المؤكِّدةِ؛ دَفْعًا لِمَظِنَّةِ ظانٍّ أنْ يكونَ الصِّراطُ غَيرَ مستَقيمٍ؛ فتصِحُّ الحالُ عَلى هذا المعنى.

إيثارُ لفْظِ (المستَقيم):

الاسْـتـقـامـةُ اختصارٌ للجُهودِ والأوقاتِ

وصْفُ الصِّراطِ بالمستَقيمِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ هوَ سُرعَةُ وُصولِ سالكِهِ إلى طَريقِ الحقِّ بأقلِّ وقْتٍ ومَجهودٍ؛ فإنَّ الخطَّ "المستَقيمَ يَصِلُ إلى الحَقِّ بأقلِّ طَريقٍ"[5].

(1) العكبري، التّبيان: 1/538.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ62.
(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/76، والهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 9/70.
(4) مكي القيسي، مشكل إعراب القرآن: 2/758.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2664.

وسُمّيَ مُستقيمًا لِأَنَّهُ يَستقيمُ بِمَنْ يَسيرُ فيهِ ويَسْلُكُهُ، فلا يَنحَرِفُ ولا يَعْوَجُّ حتّى يَصِلَ بِهِ إلى الجنَّةِ[1].

تَوجِيهُ المُتَشابِهِ اللَّفظِيِّ بينَ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، و﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمًا﴾:

قَولُهُ تَعالى في أمِّ الكِتابِ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] وهُنا ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمًا﴾ فيُسأَلُ عَنِ الفَرْقِ بَينَ التَّعبيرَينِ ؟ والجوابُ عَنْ ذلكَ: أنَّ سياقَ الفاتِحَةِ سياقٌ عامٌّ مُوَجَّهٌ إلى الأُمَّةِ ابْتِداءً؛ فالصِّراطُ المستَقيمُ ما شهِدَتْ بِصِحَّتِهِ أماراتُ التَّوحيدِ، وأشارَتْ عَلَيهِ شَواهِدُ التَّحقيقِ[2]، أمّا في سورة الأنْعامِ فالخِطابُ لِلرَّسولِ ﷺ؛ فهذا الَّذي أنتَ عَلَيه هوَ الطَّريقُ المستَقيمُ، وهوَ الإسلامُ[3]، فتَضَمَّنَ الخِطابُ التَّشريفَ والتَّسليَةَ عَنْ ضَلالِ بَعضِ مِنَ النَّاسِ؛ وذلكَ ممّا كانَ يَحزُنُهُ ﷺ مِنْ قَولِهِمْ وحالِهِمْ.

مـا جـاءَ في الفاتحةِ تَعليمٌ لِلأُمَّةِ وما جاء في الأنـعـامِ فخاصٌّ بِسيِّدِ الأنامِ

دَلالةُ تَحقيقيَّةِ (قَدْ):

قولُهُ تَعالى: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا﴾ مُتَضَمِّنٌ الحَرفَ ﴿قَدۡ﴾؛ وهوَ حَرفٌ يُفيدُ التَّحقيقَ والتَّوكيدَ[4]؛ فَحرفُ ﴿قَدۡ﴾ يُفيدُ تَحقيقَ الفِعلِ؛ فَهيَ معَ الفِعلِ بِمنزلَةِ (إنَّ) معَ الأسماءِ، ومعنى ذلكَ أنَّ تَفصيلَ الآياتِ، وبَيانَ الحُجَجِ والدَّلالاتِ - لِمَنْ يذَّكَّرُ - أمرٌ مُؤَكَّدٌ قائِمٌ بِالشَّواهِدِ والدَّلائِلِ لا شَكَّ فيهِ.

تَفصيلُ الآياتِ جاءَ عَلى وَجْهِ الـتَّـحـقـيـقِ والتَّوكيدِ

بَلاغَةُ الالتفاتِ مِنَ الخِطابِ إلى الغيبَةِ، ومِنْ ضَميرِ الإفرادِ إلى ضَميرِ التَّعظيمِ:

في قَولِهِ: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمًا قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ التِفاتٌ[5] مِنَ الخِطابِ ﴿رَبِّكَ﴾ إلى الغيبَةِ ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾؛

تَعظِيمُ مَقامِ الرَّسولِ خِطابًا، والإخبارُ عنِ المذَكَّرين غَيْبَةً

(1) أبو بكر الحدّاد، تفسير الحدّاد: 3/88.
(2) القشيري، لطائف الإشارات: 1/50.
(3) البغوي، معالم التنزيل: 2/159.
(4) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 3/220.
(5) الالتفات "انصرافُ المتكلّمِ عن المخاطبةِ إلى الإخبار، وعنِ الإخبارِ إلى المخاطَبة، وما يشبهُ ذلك، ومنَ الالتفاتِ الانصرافُ عن معنًى يكونُ فيه، إلى معنًى آخر"، يُنظر: ابن المعتزّ، البديع في البديع، ص: 152.

تَنويعًا في الخِطابِ، وتَنبيهًا وتَطريَةً لِفكرِ السّامِعِ، وصيانَةً لَهُ مِنَ السّآمَةِ والضَّجَرِ[1]، وكَسْرًا لِأفُقِ التَّوقُّعِ لَديهِ؛ ولأنَّ المخاطَبينَ بِما فصَّلَ لَهمُ الآياتِ فَإنَّهمْ يَذَّكَّرونَ بِما احتَجَّ عَلَيهِمْ مِنَ الآياتِ والعِبَرِ مِنْ غَيرِ حاجَةٍ إلى تَوجيهِ الخطابِ لَهُم، أمّا انتقالُهُ مِنْ ضَميرِ الإفرادِ ﴿رَبِّكَ﴾ إلى ضَميرِ التَّعظيمِ ﴿فَصَّلْنَا﴾ فَلِقَصْدِ التَّعظيمِ والإجلالِ[2]، وتَعظيمِ الحقِّ ﷻ، وبَيانِ ارتِفاعِ مَنزلَتِهِ، وإدخالِ المَهابَةِ في نُفوسِ المخالِفينَ.

صِيغةُ التَّعبيرِ بالفاصِلَةِ ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ دونَ (يَتذكَّرون)، و(تَذَكَّرون):

للسّياقِ أثرٌ في اختِيارِ الصِّيغَةِ الملائِمةِ للمعنَى

في فاصِلَةِ الآيةِ: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ خَتَمَ بِقولِهِ: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾؛ غَيْرَ أنَّكَ تَجِدُ آياتٍ أُخرى - مِنَ المادَّةِ نفسِها - ختَمَها بِصيَغٍ فِعْليَّةٍ تَختَلِفُ قَليلًا عَنْ هذهِ الصّيغَةِ، وَهذا الاختِلافُ القَليلُ يَحمِلُ خلفَهُ معنًى كبيرًا، ومِنْ ذلكَ قولُهُ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: 80] فجاءَ بِصيغَةِ ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاءَينِ، فسياقُ الآيةِ في مُحاجَجَةِ سَيِّدِنا إبراهيمَ عليه السلام قومَهُ، وهمْ أناسٌ عَريقونَ في الشِّرْكِ والوَثنيَّةِ؛ فَهُمْ بِحاجَةٍ ماسَّةٍ مُؤَكّدَةٍ إلى التَّذَكُّرِ وإدامَةِ الفِكرِ والتَّأمُّلِ؛ فوجَّهَ إلَيهِمْ فِعلَ التَّذكُّرِ كاملًا مِنْ غَيرِ حَذْفٍ أوْ تَقصيرٍ[3]، وليسَ الموضِعُ هُنا مقامَ اختِصارٍ واقتِصارٍ في سياقِ مُناظَرةِ الخَليلِ عليه السلام لقَومِهِ، كما هوَ الحالُ في هذا الموضِعِ ذي الصّيغَةِ المختَصَرةِ ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾؛ فإنَّ اللّهَ تعالى بيّنَ لهمْ أحكامَهُ وفصَّلَ لَهمْ شرائعَهُ، وميَّزَ لهُمُ الخيرَ منَ الشَّرِّ، وكلُّ ذلكَ لهؤلاءِ الذينَ عَلِموا فانتفَعوا بِعلمِهِمْ[4] مِنْ غَيرِ

(1) الدرّة، تفسير القرآن الكريم: 3/248.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 7/265.
(3) فاضل السّامرائي، بلاغة الكلمة، ص: 17.
(4) السّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 273.

احتياجٍ إلى طولِ تَأمُّلٍ أو كثيرِ تَفكُّرٍ وتَذكُّرٍ، وكذا الحالُ معَ الفعلِ (يَتذكَّرون) فإنَّ وقتَ التَّذكُّرِ هنا أطولُ زمنًا مِنْ (يذَّكَّرون) بجامعِ الصّيغةِ الأطولِ.

عِلّةُ الإدْغامِ والتَّعبيرِ بالمضَارِعيَّةِ:

وقَولُهُ: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ وصَفَ هؤلاءِ بالتَّذَكُّرِ بصيغةِ الفعلِ المُدغَمَةِ؛ لأنّهمْ "يُجهدونَ أنفُسَهمْ في التَّخلُّصِ مِنْ شوائبِ العقلِ وعَوائقِه؛ مِنَ الهوى وغَيرِه، ولوْ عَلى أدنى وُجوهِ الاجْتهادِ بما يُشيرُ إليهِ الإدغامُ"[1] الدّالُّ عَلى الاخْتصارِ في صيغَةِ الفعلِ المناسبِ لِحالِهمْ، والتَّعبيرُ بالفعلِ المضارِعِ لحاجَةِ الإنسانِ أنْ يكونَ مُتذَكِّرًا عَلى جِهةِ الدَّوامِ والاستمرارِ.

المُـذَكِّـرُ مَـنْ يُجـهـدُ نفسَهُ في الـتّـخـلُّـصِ مِـنَ الـشَّـوائـبِ والأهواءِ

نُكتَةُ تَخصِيصِ القَومِ بِالذِّكرِ:

وفي قولِهِ تَعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ خصَّصَ هؤلاءِ القَوْمَ بالذِّكرِ بقَولِهِ: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾؛ ونكتتُهُ أنّهمُ المنتَفِعونَ المستَفيدونَ مِنْ ذلكَ التَّفصيلِ، وقَدْ أفادَتْهُمُ الآياتُ فتذكَّروا بها[2] بقولِهِ: ﴿فَصَّلْنَا﴾، فناسَبَ تخصيصُ الذِّكرِ التَّفصيلَ.

المُـذَكِّـرون هم أهـلُ الـعُـقـولِ الـرّاجِـحَـةِ والـتَّـمْـيـيـزاتِ الواضِحَةِ

وخَصَّ بها الموصوفينَ بالتَّذكُّرِ؛ "لأنَّهمْ همْ أهلُ التَّمييزِ والفَهْمِ وأولُو الْحِجَا والفَضْلِ"[3] في أنَّهمْ يتَّعظونَ بالمواعِظِ، ويقبَلونَ الدَّلائلَ والحُجَجَ، ولا يكابِرونَ؛ ويَدْرؤونَ ما يورَدُ عليهمْ مِنَ الأوهامِ والشُّبُهاتِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الصِّراطُ)، و(الطَّريقُ)، و(السَّبيلُ):

الصِّراطُ هوَ الطَّريقُ السَّهلُ المُيَسَّرُ عَلى سالِكِهِ، وهوَ الطَّريقُ المذَلَّلُ؛ والذُّلُّ نَقيضُ الصَّعبِ، أمّا الطّريقُ فليسَ شرطًا أن يكونَ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/265.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/267، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ63.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/113.

الصِّراطُ ما كانَ سهلًا مُيَسَّرًا مُذَلَّلًا لِسالِكِهِ، ولَيسَ كَذلكَ الطَّريقُ؛ والسَّبيلُ اسْمٌ عامٌّ يَقَعُ عَلى الطَّريقِ وعَلى غَيرِهِ

سهلًا، بلْ قَدْ يكونُ شاقًّا غَيرَ مُعبَّدٍ وغَيرَ مُهيَّأٍ للسَّيرِ فيهِ، أمّا السَّبيلُ فهوَ اسْمٌ عامٌّ يقعُ عَلى الطَّريقِ وعَلى غَيرِ الطَّريقِ، فتقولُ: (سبيلُ اللّهِ وطريقُ اللّهِ)، ويُقالُ: سبيلُكَ أنْ تفعلَ كَذا، ولا تقولُ: طريقُكَ أنْ تفعلَ كَذا، والسَّبيلُ يكونُ كِنايةً عَنِ القصْدِ، وأكثرُهُ يكونُ في الخَيرِ، والطَّريقُ ليسَ كَذلكَ[1]، وقَدِ اختارَ النَّظمِ الكريمُ التَّعبيرَ بالصِّراطِ مُؤثِرًا إيّاهُ عَلى الطَّريقِ والسَّبيلِ؛ لِما ذُكِرَ مِنْ سهولَتِهِ وتَيسيرِهِ، ولِأنَّهُ "صِراطٌ بَليغٌ في اسْتِقامَتِهِ جامِعٌ لكلِّ ما يجبُ أنْ يكونَ عَلَيهِ، وأصْلٌ لِمَرتَبةٍ يَقْصُرُ عَنها التَّوصيفُ"[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 313.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 7/248.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»